الإلحاد في اللغة العربية

يقول معجم لسان العرب: معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، ولحد إليه بلسانه: مال، وقال الأزهري في قول القرآن ﴿لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ قال الفراء: قرئ ﴿يلحدون﴾ فمعنى يلحدون يميلون إليه وملحدون يعترضون وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء.

اللاربوبية:

تم استخدام كلمة (اللاربوبية) كترجمة عربية لكلمة (Atheism) في الحملة العلنية لظهور اللاربوبية (الملحدين) والتي دعا إليها العالم «ريتشارد دوكنز» إلى جانب كلمة (إلحاد) كمحاولة لإشهار كلمة ثانية لا تحمل معنى سلبي من حيث اللغة وتعطي المعنى المطلوب المتمثل بعدم الاعتقاد بإله أو آلهة، لكن بالرغم من ذلك فكلمة (إلحاد) هي المستخدمة بصورة شائعة حتى من قِبل الملحدين العرب.

تاريخ الإلحاد:

في تاريخ العرب هناك أدلة على وجود ملحدين من قبل الإسلام باسم آخر وهم طائفة الدهريين الذين كانوا يؤمنون بقِدم العالم وأن العالم لا أول له ويذكرهم القرآن: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ [سورة الجاثية الآية: ٢٤] لذا فقد ألف جمال الدين الأفغاني كتابًا للرد على الملحدين المعاصرين وأسماه «الرد على الدهريين»، أما الإلحاد فكانت تستخدم للذين لا يتبعون الدين وأوامره باعتبار الدين منزل أوامر ممن لديه الآلهة وفي الكتب المقدسة نجد ذكرًا لأشخاص أو جماعات لا يؤمنون بدين معين أو لا يؤمنون بفكرة يوم الحساب أو كانوا يؤمنون بآلهة على شكل تماثيل - أصنام - كانت غالبًا

ما تُصنع من الحجارة.

يبدو أن فكرة إنكار وجود الخالق من الأساس كانت فكرة مستبعدة تمامًا ولم تلق قبولًا شعبيًّا في كل العصور إذ يقول المؤرخ الإغريقي: «بلو تارك» لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ومدن بلا جيوش ومدن بلا قصور ومدن بلا مدارس ولكن لم توجد مدن بلا معابد.

أما بعد انتشار الدين الإسلامي وهو ما يتم إسقاطه سهوًا لدى الكثير عند حديثهم عن تاريخ الإسلام فقد وجد أنواع كثيرة من الملحدين.

فمن هؤلاء من كان يحاول التشكيك في بعض التراث الديني لغرض التشكيك في الدين نفسه وهم حقيقة كانوا يتبنون فلسفات دينية شرقية أخرى كالمانوية ومن أمثلتهم «ابن المقفع".

ظهرت فيما بعد بعض العقول التي بدأت تشكك في صحة النبوة، وهل يحتاج إله إلى بشري ليبلغ عنه، وبعض الشواهد تبدي ميل إلى إنكار الفكر اللاهوتي بأكمله لولا أنه وقتها لم يكن لهم من لغة فلسفة العلم الحديث ما يكفي للحديث بجرأة كافية بأمور وجود الله، وابن الرواندي واحدًا من هؤلاء الفلاسفة المتشككين بالدين الإسلامي، حيث شهدت حياته تحولات مذهبية وفكرية كبيرة فقد كان في بداياته العلمية واحدًا من المعتزلة ولكن تحول عن المعتزلة وانتقدها بشدة في كتابه «فضيحة المعتزلة»، ثم اعتنق لبرهة وجيزة الإسلام الشيعي وله كتاب «الإمامة» وهو من آثار تشيعه القصير، ولكن لقاءه «بأبي عيسى الوراق» الذي كان ملحدًا فجعله يرفض قبول الإسلام وتحول بعدها ابن الرواندي ليصبح ملحدًا من أهم اللاأدريين في التاريخ الإسلامي، وما يستحق الذكر أن أغلب ما كتبه هو أو غيره تم إتلافه أو ضياعه لشدة محاربتهم له وأغلب الباحثين عندما يلجؤون لنصوصهم إنما يذهبون للكتب الدينية التي تولت الرد على ابن الرواندي أو

غيره فضمن هذه الكتب كان يتم إيراد فقرات طويلة واقتباسات من كتب ابن الرواندي ليتم الرد عليها بالكتاب نفسه، أبرز وأزهى مرحلة وصل لها الإلحاد كانت على يد أبي بكر الرازي، والكثير يجهل هذه الحقائق لسبب ما فهو أحد النوادر الذين تحرروا من فكرة ارتباط الإلحاد بسبب ميله لفلسفات شرقية مثلًا أو غيرها أو محاولة التستر بإظهار بعض الإيمان بالله وأمور عقائدية والعودة لاحقًا إلى مهاجمة الرسل والتشكيك في صحتهم وهذا ما لم يكن يفعله أبو بكر الرازي فقد كان فذ العقل لدرجة منعته من الرضوخ، ومن كتبه على سبيل الذكر «خوارق الأنبياء»، وأنكر عن المعتزلة محاولة إدخال العقل بالدين بحجة أن الفلسفة والدين لا يجتمعان ومن مقولاته:

• إنكم تدعون أن المعجزة قائمة موجودة وهي القرآن «من أنكر ذلك فليأت بمثله» إن أردتم أن نأتي بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء وما هو أطلق ألفاظًا وأشد اختصارًا في المعاني وأبلغ أداء وعبارة وأشكال سجعًا، فإن لم ترضوا بذلك فإنا نطالبكم بمثل ما طالبكم به.

• قد والله تعجبنا من قولكم القرآن معجزة وهو مملوء من التناقض وهو أساطير الأولين وهي خرافات.

• وأيم الله لو وجب أن يكون كتاب حجة لكانت كتب أصول الهندسة والمجسطي الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك والكواكب ونحو كتب المنطق وكتب الطب الذي فيه علوم مصلحة للأبدان أولى بالحجة مما لا يفيد نفعًا أو ضررًا ولا يكشف مستورًا.

هؤلاء الثلاثة مثلوا أهم تطورات الإلحاد بمراحله في التاريخ الإسلامي لغيرهم من الملحدين أو الزنادقة على حد تعبير الفقهاء، فمثلًا قد يعتبر منهم أبو العلاء المعري الذي اعتزل الحياة في آخر حياته وصام عن أكل

اللحوم أو أبو نواس وجماعته.

- اللادينية وعلاقتها بالإلحاد:

اللادينية مصطلح يعني عدم الإيمان بأي دين ورفض جميع الأديان لكونها - حسب رأيهم - صنع ونتاج فكري وبشري واللادينية هي عنوان عريض يندرج تحته الكثير من التوجهات والقناعات الفكرية والفلسفية والعلمية المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن خلق الكون ومغزاه وعن السياسة والأخلاق، ولكن تعريف اللادينية بشكل بسيط: الاعتقاد أن أي دين من صنع الإنسان وليس من عند إله.

أما عن علاقة اللادينية بالإلحاد فالملحد هو لاديني، ولكن العكس لا يشترط الصحة حيث لا يوجد علاقة معينة باللادينية والآلهة.

يقسم البعض اللادينيين من حيث نظرتهم إلى الآلهة لثلاثة فروع:

١ - الملحدون: وهم الذين يرفضون فكرة وجود قوى فوق طبيعية كالآلهة رفضًا صريحًا.

٢ - اللاأدرية: وهم الذين لا يتخذون موقفًا معينًا من قضية الآلهة باعتبارها كما يعتقدون مسألة علمية ولا تحمل أهمية جوهرية بالنسبة للإنسان، فهم لا يرفضون ولا يعتقدون بوجود الآلهة.

٣ - الربوبيون: وهم الذين يعتقدون بوجود قوة مسيرة للكون قد لا تكون بمفهوم الإله الشخص أو الخالق في الوقت الذي ينغمرون فيه ضمن إطار اللادينية.

- أسباب الإلحاد:

يعلل الملحدون رؤاهم إلى أسباب فلسفية نابعة من التحليل المنطقي والاستنتاج العلمي حيث يشير كثير من الملحدين إلى النقاط أدناه:

• عدم وجود أي أدلة أو براهين على وجود إله، ويرون أن وجود إله متصف بصفات الكمال من الأزل هو أكثر صعوبة وأقل احتمالًا من نشوء الكون بمعضلة أكبر وهي كيفية وجود الإله الكامل منذ الأزل، وبالتالي لا بد أن التعقيد قد نشأ من حالة بسيطة كتفسير تنوع وتعقيد الكائنات الحية كما تشرحه نظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي، بالرغم من أن المؤمنين يردون عليهم أن: حتى نظرية داروين قائمة على قوانين لا بد من وجود خالق لوضعها، كما أن النظرية لم تفسر كيف نشأت أول خلية، حتى أن أول خلية نرى أن تعقيدها لا ينتهي ويتطلب وجود خالق لها.

• فكرة الشر أو الشيطان في النصوص الدينية: يري بعض الملحدين (أبيقور ونيتشه في الفلسفة الحديثة مثلًا) أن الجمع بين صفتي القدرة المطلقة والعلم المطلق يتعارض مع صفة العدل المطلق للإله وذلك لوجود الشر في العالم (من صاحب هذا الرأي)، ولا ترى المذاهب الإسلامية السائدة تعارضًا بين وجود الشر ووجود إله عليم وقدير وعادل، بينما تذهب المعتزلة إلى نفي خلق الله لأفعال العباد لأجل تنزيه الإله عن فعل الشر لكن ذلك لا يرد على الشر الناتج عن الحوادث الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها كالزلازل مثلًا (من صاحب هذا الرأي).

• وتدخل أسباب اللادينية ضمن أسباب الإلحاد لأن كل الملحدين لادينيون نسبة إلى الأديان الإبراهيمية (لكن العكس غير صحيح فالربوبي يؤمن بإله دون دين).

- أنواع الإلحاد:

بسبب التعريف غير الواضح لعالم مصطلح الإلحاد، ووجود تيارات عديدة تحمل فكرة الإلحاد، نشأت محاولات لرسم حدود واضحة عن معنى الإلحاد الحقيقي وأدت هذه المحاولات بدورها إلى تفريعات وتقسيمات

ثانوية لمصطلح الإلحاد وتبرز المشكلة أن كلمة الإلحاد هي ترجمة لكلمة إغريقية وهي (Atheos) وكانت هذه الكلمة مستعملة من قِبَل اليونانيين القدماء بمعنى ضيق وهو «عدم الإيمان بإله».

وفي القرن الخامس قبل الميلاد تم إضافة معنى آخر للإلحاد وهو إنكار فكرة الإله العظيم الخالق، كل هذه التعقيدات أدت إلى محاولات لتوضيح الصورة ونتجت بعض التصنيفات ومن أبرزها:

- إلحاد قوي أو إلحاد موجب وهو نفي وجود إله.
- إلحاد ضعيف أو إلحاد سالب وهو عدم الاعتقاد بوجود إله.

الفرق بين الملحد الموجب والسالب هو أن الملحد الموجب ينفي وجود إله وقد يستعين بنظريات علمية وفلسفية لإثبات ذلك، بينما الملحد السالب يكتفي فقط بعدم الاعتقاد بالله نظرًا لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون.

هذان التعريفان كانا نتاج سنين طويلة من الجدل بين الملحدين أنفسهم ففي عام ١٩٦٥م كتب الفيلسوف الأمريكي من أصل تشيكي إيرنست نيجل (١٩٨٥ – ١٩٠١) «إن عدم الإيمان ليس إلحادًا، فالطفل الحديث الولادة لا يؤمن لأنه ليس قادرًا على الإدراك، وعليه يجب توفر شرط عدم الاعتقاد بوجود فكرة الإله»، وفي عام ١٩٧٩م قال الكاتب «جورج سميث»: الملحد القوي هو شخص يعتبر فكرة الإله فكرة غير منطقية وغير موضوعية، وهو إما مستعد للحوار أو وصل إلى قناعة في اختياره ويعتبر النقاش في هذا الموضوع نقاشًا غير ذكي ولكن البحث والتقصي يكشف لنا أن معظم المفكرين والعلماء الذين أعلنوا الإلحاد لم يتمتعوا بهذه الصفة إذ يقول: «موريس بلوندل:» ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة.

وأوضح «سميث »أن هناك فرقًا بين رجل الشارع البسيط الذي ينكر فكرة

الإله لأسباب شخصية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية، والملحد الحقيقي الذي استنادًا إلى سميث يجب أن يكون غرضه الرئيسي هو الموضوعية والبحث العلمي وليس التشكيك أو مهاجمة أو إظهار عدم الاحترام للدين.

ولكن بالرغم من هذه التوضيحات بقيت مسألة عالقة في غاية الأهمية لم تُحسم حتى الآن وهو التطبيق العلمي على أرض الواقع والحياة العلمية لفكرة الإلحاد، فالأديان تشجع الإنسان على اتباعها لما يجده فيها من التزام أخلاقي مريح، بل إنها أيضًا تقدم له حلولًا عقلية مريحة أيضًا للقضايا الفلسفية الكبرى حول الوجود والغاية من الحياة، وقد يلتقي الملحد الحقيقي مع المؤمن بدين معين في فكرة احترام وجهة نظر المقابل وعدم استصغار أو تحقير أية فكرة إذا كانت الفكرة مبعث طمأنينة لشخص ما وتجعله شخصيًّا بناءة في المجتمع، فبعض الملحدين لديهم فكر حضاري قائم على مبادئ حقوق الإنسان بالرغم من أن بعضهم أيضًا يبدى سلوكًا متطرفًا نحو المؤمنين بالإله. أي بمعنى آخر التعصب نحو الإلحاد هو نفسه التعصب المذهبي لأي دين، فالتعصب موجود عند بعض الملحدين وهو بدوره يؤدي إلى فكر إلحادي متطرف نحو المؤمنين بوجود إله، والأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة الموجودة في قلب أي إنسان ولكنها تقترب من الكمال عند الالتزام بمنهج معين وهذا لا يمنع أي ملحد من الاتصاف بها لأن من الفطرة الإنسانية الأخلاق الحميدة.

- بدايات الإلحاد:

استنادًا إلى الأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة الموجودة في قلب أي إنسان ولكنها تقترب من الكمال عند الالتزام بمنهج معين وهذا لا يمنع أي ملحد من الاتصاف بها لأن من الفطرة الإنسانية الأخلاق الحميدة.

بدايات الإلحاد:

استنادًا إلى كارين ارسترونغ في كتابها «تاريخ الخالق الأعظم» فإنه ومنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر وقع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب، بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم، وهذا العصر كان عصر كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيجموند فرويد الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها، وقد ساهم في هذه الحركة الموقف الشهير للديانة المسيحية في القرون الوسطى وما تلاه من الحروب والجرائم والانتهاكات للإنسانية التي تمت في أوروبا باسم الدين نتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروجها عن مبادئ الكنيسة؛ حيث قامت الكنيسة بتشكيل لجنة خاصة لمحاربة الهرطقة في عام ١١٨٤م وكانت هذه اللجنة نشيطة في العديد من الدول الأوروبية وقامت هذه اللجنة بشن الحرب على أتباع المعتقد الوثني في غرب أوروبا والوثنية هي اعتقاد بأن هناك موثقين أو خالقين يسيطرون على الكون يمثل أحدهما الخير والآخر الشر.

استمرت هذه الحملة من ١٢٠٩م إلى ١٢٢٩م، وشملت أساليبهم حرق المهرطقين وهم أحياء وكانت الأساليب الأخرى المستعملة متطرفة وشديدة حتى بالنسبة لمقاييس القرون الوسطى، وكانت بناء على مرسوم عن الناطق باسم البابا» قيصر هيستريباخ Caesar of Heisterbach « الذي قال: «اذبحوهم كلهم»، واستمرت هذه الحملة لسنوات وشملت أكثر من عشر مدن في فرنسا وتلت هذه الحادثة خسائر بشرية كبيرة والتي وقعت أثناء الحملات الصليبية، ولم يقف الأمر عند العلماء فحتى الأدباء أعلنوا وفاة فكرة الدين والخالق، ومن أبرز الشعراء في هذه الفترة (وليم بليك William Blake ١٧٥٧ - ١٨٢٨) حيث قال في قصائده: إن الدين

أبعد الإنسان عن إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر من ناحية الحرية والسعادة، وأن الدين جعل الإنسان يفقد حريته واعتماده على نفسه في تغيير واقعه.

وبدأت تدريجيًّا وخاصة على يد الفيلسوف الألماني أرثر شوبنهاور (١٨٦٠ - ١٧٨٨) بروز فكرة أن «الدين هو من صنع البشر ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو اجتماعية»، وكان الغرض منه تنظيم حياة مجموعة من الناس حسب ما يراه مؤسس الدين مناسبًا وليس حسب الحاجات الحقيقية للناس الذين قرروا) لجهل أو لضعف) الالتزام بمجموعة من القيم البالية، وأن من المستحيل أن تكون كل هذه الديانات من مصدر واحد، فالإله الذي أنزل ١٢ مصيبة على المصريين القدماء وقتل مولودهم الأول ليخرج اليهود من أرض مصر هو ليس نفس الإله الذي ينصحك بأن تعطي خدك الآخر ليتعرض للصفع دون أن تعمل شيئًا، وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث التكثيف التي يقول بها الدين وهي أن يعطيك الخالق مجموعة من الغرائز والتطلعات، وفي نفس الوقت يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إياها مرة أخرى بعد الموت، خصوصًا وأن رجال الدين في أوروبا آنذاك كانوا يميلون إلى الرهبانية والانقطاع عن الدنيا، وهكذا أخذت أفكار الملحدين في هذه المرحلة منحنى الفتور من الدين لتناقضه مع العقل - حسب رأيهم - مع تصرفات وتعاليم الكنيسة.

ولقد اعتبر كارل ماركس الدين أفيون الشعوب يجعل الشعب كسولًا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع، وأن الدين تم استغلاله من قبل الطبقة البرجوازية لسحق طبقة البسطاء.

أما سيجموند فرويد فقد قال: إن الدين هو وهم كانت البشرية بحاجة

إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود الإله هو محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص مثل أعلى بديل لشخصية الأب؛ إذ أن الإنسان في طفولته – حسب اعتقاد فرويد – ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال.

كل هذه الأفكار وبصورة تدريجية ومع التغيرات السياسية التي شهدتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية وبريطانيا بعد عزل الملك جيمس الثاني من إنكلترا عام ١٦٨٨م وتنصيب الملك وليام الثالث من إنكلترا والملكة ماري الثانية من إنكلترا على العرش كان الاتجاه السائد في أوروبا هو فصل السياسية عن الدين، وإلغاء العديد من القيود على التعامل والتعبير التي كانت مفروضة من السلطات السابقة التي كانت تأخذ شرعيتها من رجالات الكنيسة.